

المتناقض





الطبعة الأولى 1445 هـ - 2024 م
(ISBN): 978-9947-79-610- 8
الإيداع القانوني: 2024/01

اسم العمل: المتناقض
اسم المؤلف: باشي سفيان
إخراج: أحمد منصوري
المدير العام / سميرة منصوري

الناشر / دار المثقف للنشر للجزائر
صفحة الدار على موقع فيسبوك:

[/https://www.facebook.com/elmothakaf](https://www.facebook.com/elmothakaf)

الموقع الإلكتروني: www.elmmothakef.com

هاتف / فاكس 033 80 47 79 / 0773 21 90 79

واتساب/0696 59 04 68

مقر الدار: Rue Ben flis- impasse kalenge- batna

المثقف للنشر والتوزيع

جميع حقوق النشر الورقي و الإلكتروني والمرئي
والمسموع محفوظة للمؤلف وغير مسموح بتداول هذا
الكتاب بالقص أو النسخ أو التعديل إلا بإذن من الناشر.

©

باشي سفيان



المتناقض

﴿الليلة المظلمة لروح﴾

المتقف

— للنشر والتوزيع —

إهداء

إلى من قال لي يوماً لن تنجح حتّى يهدم كل

ما تؤمن به أمام عينيك.

إلى توأمي الشعلة الذي كنت بصدد انتظاره

أبد الدهر.

إلى جانبي المظلم المختبئ في أعماق أركان

كيانِي المهترئ.

لأكون صريحا معك يا صاحب العينين الجميلتين

لا تقرأ،

فقد تبحث عن نهاية لن تجدوها.



لا أحد يقدر أن يأتيك بالنصح أو المساعدة. لا أحد، ثقة سوى درب واحد، توغل في ذاتك وابتحث عن الحاجة التي تدفعك إلى الكتابة، أنظر ما إذا كانت هذه الحاجة تدفع بجذورها في أعماق أعماق قلبك.

اعترف لنفسك: "هل ستموت إذا ما منعت عليك الكتابة؟" وهذا خصوصا: اسأل نفسك بشكل خاص في أكثر ساعات الليل سكونا: "أنا مجبر حقا على الكتابة؟"

غص في ذاتك بحثا عن الإجابة الأعمق، فإذا كانت الإجابة بالإيجاب، و إذا كنت قادرا على مواجهة سؤال صارم كهذا بعبارة بسيطة وقوية "ينبغي أن أكتب" فابني في هذه الحالة حياتك بموجب هذه الضرورة حتى في أكثر ساعاتها فراغا و عدم مهالة، ينبغي أن تصبح حياتك هي العلامة والشاهد على مثل هذه الوثبة.

• راينر مارياريلكه

مقدمة

سأكتب بطريقة دراماتيكية كلاسيكية راقصة تشبه رقص الهنود المضطرب. أستعبد الحروف كعقل مرهقة يضرب بمطرقة فتصرخ كجرس كنيسة مهجورة في قرية على سطح قصر أسود. أرتب قيافة سردي كقطّ أجرب مهندم بشكل لائق، كعريس أبكم مغتصب فوق سرير ممتلك بريش طاووس، أقرع، أعور، يشبه الدجال، وأعيد تشتيته بتنقل أني ليسير متبخترا كقبطان سفينة غرق بالوول، مثل خنزير أصلع تتزلق فوقه نملة في شهرها السابع من الولادة فيخرج صمت التناقض بين فواصل ما أكتب صارخا ويتأوه مثل شيخ مسجد تائب. منذ لحظات دعت امرأة على زجاجة خمر فارغة تشبه عقل وغد يحاول قيادة السيارة على المرّيخ بجانبه رائد فضاء بدين، يرتدي فستان سهرة ستقام لذكرى وفاة شخصية مجنونة تدعى المتناقض.

المتناقض

حسنا:

قررت أن أبوح بكل شيء فقد وصل السيل الزبي،
لم أعد أعلم إن كنت بانسا أم مجنونا، لدرجة أنني
فقدت عقلي، لربما الحياة أرهقتني كثيرا. أخاف
أن أكتب وتتييس ريشتي من الحبر قبل أن أكمل
مخطوطتي... بالطبع لايهم، لنبدأ رويدا رويدا فعند
نهاية المطاف سأتغير عليكم جميعا، سأتغير للأسوء.
لن أضحك أحدا ولن أتناول أطراف الحديث مع أحد
سواء عائلتي أو أصدقائي أو نفسي أو حتى قريني...
أكثرت الحديث؛

فلندخل صلب الموضوع. حياتي كأي شخص آخر،
بتر منها الزمن والواقع ما يرغب، وأي بتر هذا
إن كانت أعضاء روعي الثلاثة تباع في أسواق
المقابر...

حب يباع على أزقة الخذلان.

أحلام ترمى فوق أرصفة الحطام.

انهيار استحضر قرون الشيطان.

سأبدأ من النهاية وصولاً إلى البداية؛ رغم حبي
للبدائيات فلن ينعني ذلك من السرد عكسيًا لأتغلب
على نفسي وعلى كل من يقول أنّ البداية مجرد
حماس وأثبت استحقاق النهاية للاهتمام.
حسنًا:

لا أعرف كيف أقولها لك!

لا أعرف كيف سأصيغ كلماتي وعباراتي!

لم يعد ينفع أي شيء، طاولتي مليئة بأكواب قهوة
نصف ممتلئة وعلب دخان فارغة. صفحات بيضاء
وقلم حبر ناشف. بنظرات فارغة أراقب كل شيء.
وحده صوت أغنية من بعيد لا أعرف كلماتها،
أستمع إليها لعنني أستأنس بها قليلاً، لكن طبعاً
دون جدوى.

الآن عرفت ما أردتُ قوله، باختصار شديد: أنا تائه،
أحيانا تتوقف الساعة ولا يتوقف الزمن.

تتوقف الأفكار في ركن من العقل التائه في ثنايا
هذه الحياة، فلا نحتاج سوى لعناق و حديث بسيط
مع من ينسينا متهات هذه الحرب. هذه الأيام التي
تمرّ برتابة مقرفة وتكرار ملعون. نفس النهايات،
نفس الأفكار التي تنتفض كلّ مساء ثمّ تعود للترتب
تحت الوسائد، لتنهض في ذات الوقت من المساء
الموالي...

الأحلام المؤجلة، رائحة مواقد الشتاء القريبة،
الانكسارات المتواترة حدّ التشابه المريب. كلّ هذه
الأشياء وآلاف التفاصيل الأخرى تخبرني أنني أقف
على أعتاب اليأس النهائي؛ ذلك اليأس الذي لا يرى
في الأفق مهرب منه ولا منفذ للنجاة، والذي أبلغ
فيه تلك الدرجة من اللامبالاة والتفكير بأشياء مثل

الانتحار فجأة أو التقدّم بخطوات ذاهلة نحو الموت
الأبدي.

حتى ذلك الحزن الذي كان يورقني فيما مضى أصبح
بلا طعم، بل أصبح أمرا مشينا لا يجدر بي الحديث
عنه ولا تتلذذ تفاصيله بسادية قتلها الضجر وقلق
الأسئلة.

كيف لرجل مثلي حمل طوال سنوات عمره تلك
الوحدة الهائلة وذلك الكمّ الكبير من الذنوب
والأخطاء والفوضى والهزائم والخذلان والفلسفات
المتضاربة، ولم يحاول البحث عن الموت أن يصل
إلى هذه المرحلة؟

ربّما هو الأمل،

ذلك الطيف الذي كان يشدنا إلى حياة لا فائدة منها،
قد رحل فجأة. الآخرون أيضا فقدوا قدرتهم على
فعل أشياء من أجلك؛ ففي النهاية حتى عندما كانوا

يفعلون ذلك، لم يكن من أجلك أنت بل من اجلهم، ليقنعوا أنفسهم أنّهم طيبون و بإمكانهم فعل أشياء جيّدة لشخص بانس مثلك. أنا أيضا حاولت مرارا أن أفعل مثلهم، لكنني سرعان ما يسقط قناعي و تظهر قرون الشيطان من أعلى جمجمتي الغبيّة المليئة بالتناقضات والأفكار الرّاكدة من أزمنة الغبار.

أنا يانس جدا يا صديقي، ولا أعتقد أنّي سأنجو من هذا اليأس، فقط تذكّر دائما أنّ هذا العالم لا يخلو من الأنقياء، فقط ابحث عن الجراح داخلهم وحاول محادثتها بهدوء، فالوحش الذي يسكنهم نائم داخل ذلك الجرح تماما.

ربّما ذات يوم سيففهم أحد كونك لا تحبّ الردّ على الهاتف، ولا المحادثات الإلكترونيّة، ولا تناسبك الحوارات القصيرة العابرة؛ بل تحتاج لحوار طويل صادق، ولبوح يساعد على الشفاء، وعلى أن تتعرّف على ذاتك والآخرين بشكل أفضل.

ربّما يعذرون كونك تفضّل العزلة كثيرًا، ويغفرون
أنك تجلس مع ذاتك وتتخيّل الكثير من السيناريوهات
المحتملة، وقد تبكي لأحداث سيئة لم تحدث من
الأساس، فقط أنت تخيلت حدوثها. ربّما ذات يوم لن
يتهمك أحد بالجنون.

أداول الأفكار فكرة بعد فكرة، أتعمّق، أحاول بكلّ
قوّة لعب دور البطل، ولكنني أجدني تتراكم فوقني
ذات الأفكار، تُثقل كاهلي وتُعيقني دائمًا من التقدّم...
تحرقني إن صحّ القول.

كانت أمي تقول لي: لا تتكثّل في الزوايا يا بُني؛
تطوّرت يا أمي وبدأت أتوسّط الجدران نفسها،
لقد اصبحت شيطانًا. النَّاس كاذبون، كلّهم شياطين
مثلي...

يا للغرابة أينما تستدير تجد أناسا يشتكون من
الغدر والخيانة والظلم والحب والكره.
الكل مجروح، الحبيب تركهم ولم يلتفت إليهم،
أحدهم غدرهم وآخر ظلمهم؛ أمّا هم فكانوا ملائكة
من نور، لم يفعلوا شيئاً لكنهم ظلموا ونالهم ما
نالهم من جروح، ذاك الذي يصفونه بشكل يومي
في منشوراتهم على مواقع التواصل الاجتماعي،
والإشكال أن كل الناس تشتكى من شرّ الناس
حتى أنني بحثت عن من يخونني فلم أجده.
سؤال يطرح نفسه ويرقص داخل رأسي بإلحاح:
هل سبق أن ظلمت أحدهم؟ أكاد أجزم أنك فعلت ثمّ
نسيت أو أنك تتناسى لتوفّر مكاناً في رأسك الغليظ،
لتعيب على من لم يقصد أذيتك بفعله.

يا سادة، يا كرام، لماذا ننسى أننا تسببنا في جرح
أحدهم وفي الأخير نعكس الآية ونتصرف بوعي
الضحية؛ فلنكن واقعيين ولا نكن أنانيين إن صح
التعبير. نحن شياطين، لكني أبقى بضمير، فأنا من
الأشخاص الذين يكون ليس لأنني ضعيف، بل لأنني
كنت قويا لفترة طويلة من الزمن إلى أن أصبحت لا
أشعر بشيء تجاه أي أحد... لا حب، ولا كره.
كل ما بداخلي هو عبارة عن مدينة فارغة، قاحلة،
قبيحة، ومدمرة لا تحمل سوى الخراب، إلى أن
وصل الأمر أن تظنّ سيجارتي أنني مجنون؛ ربما
لها الحق في ذلك لأنني أحببتها من النظرة الأولى
ومن التواصل الأول بيننا. أتذكر أنها أول من قبلت و
آخر من بقي صامدا في طوفان غضبي، حتى خيل
لي أنها روعي التي لا أراها، أو ذلك القرين الذي
تحدث عنه الكتب الميتافيزيقية.

لا أكره سيجارتي بقدر ما أشفق على سعيها الدؤوب
لإرضائي، فرغم أنها تستنزفني إلا أنها ترضيني
وتشبعني عاطفياً؛ هي رفيقتي التي قد أصمت في
حضرتها كي أنفث من دحّانها الكثير والكثير من
الكلام، هي علاقة قويّة بين المقتول والقاتل؛ حيث
أقتلها لتقتلني وتقتلني لأقتلها.

كان سؤال سيجارتي لي: أنت ذكي ووقح وسافل
وبلا مبادئ، أستغرب أنك ما تزال فقيراً ووحيداً!
أجبتها وأنا أقبلها ببطء: نعم، فقير لأنّ الحظّ عاندني
كثيراً ولأني لا أعرف من أنا.

هااي مهلكم يا ناس

أعتقد أنّ الدّموع وجدت الطريق لأناي ها أنا سأبكي
صانعا من الورقة منديلا مبلّلا؛ فأصبح الزّكام يعلو
النصّ ورذاذ ذكريات تطفو هنا.

آآه نعم، لم أجب على وحدتي!

وحيد لأتني...

الهاتف يرّن...

اتّصال...

من المتّصل؟ إنّها هي مجدّدا.

ألثقت لسيّجارتني قانلا: اهدئي وستعرفين سبب

الوحدة.

أرفع السّماعة... أسمع تنفّسا خافتا و صوتا بريئا

يقول: اشتقتك وتناقضك.

اسمعي جيّدا: لا تشتاقي فما كان هنا مجرد ندبة

تركت أثرها الرّاسخ على جسد يلهث الوصول

للنّهاية.

كان عليّ أن أكون أكثر حذرا وأنا أتجه صوبك، لا أن

أغلق عيناّي ضنّا منّي أنّك سوف تلتقطيني.

لقد دفعت الرّهان بعد سقوطي فالتشبّث هنا جعل

الخطر يكشر عن نواياه. أنا الآن بدون حجة مقنعة

ولا أحاول إسقاط التّهم عني، لطالما أردت أن أخبرك:
هل لي أن أستعيد يداي المبتورتان؟ دبابيس اللّعة،
وابتسامة العجوز، وتحديات المفتّش، وكهكة
زميلاتك، تذكّرني بما حدث.

لقد انطلت حيلة الطّفل الصّغير عندما جعلني أضرب
الحظّ معك وهو ينظرلي على سداجة لعبته. هذه
المتاهة لا تنتهي هنا ونحن في أوّل مرحلة. صدّقيني
لم أكن لصًا حينها، بل هو من وضع النرد المزيّف
في جيب بنطالي وأنا شارّد البال. الآن لا شيء يعود
كما كان، بل سيكون أسوأ.

السيّئة الوحيدة هي البوح دفعة واحدة وكأنتك تسقي
عصفورا بصنبور مياه بارد كان في ماراثون بين
الغيوم، لن أخبرك لماذا حاول التخلّي عن جناحيه
وقرّر أن يكون أرنبًا.

هكذا كان المشهد وحالة إغماء وغيبوبة طويلة
المدى كالرّصاصة الفارغة.

فرضيتي المتبقية أن يفيق العصفور وينتهي
الماراثون وتتسع عيناى، وأغير الخطّة *أ* بالخطّة
ب.

أعلم أنك ستقولين ذلك مذكر وهذا مؤنث، ولكنّه
حرف لا يعني إلا مسمّى لخطّة غير مسبوقة، والآن
أنا أستنزف حيلتي و أنتظر ارتشاف أنفاسك. حسنا
يمكنك أخذ الوقت الكافي للتركيز.

تتنفّس بقوة، وواضح أنّ فهمها تسمّر من قوّة
الصدمة، لأردّ عليها:

اعلمي أنّ تأخرّك لا يجدي نفعا الآن لأنني أتجه نحو
حقل ألغام. الكثير من الأفكار لا تناسبني كبناطيل
جدي تماما.

سوف أقطع الاتّصال بكِ ريثما أعدم فوق سطح القمر... والآن أنا آسف، لم أكن أعلم بما كنت أفكر عندما أجبّت على اتّصالكِ.

تتفجر بكاءً صارخا، لأزيدة غزارة قائلا: يبدو أنّ منديلي لا تعول عليه الدّموع يا عزيزتي ولا داع للبوح، كوني وابقى هكذا، واقفة كصنم قريشي ريثما أفكّ وثاقي من الخدر.

انقطع الاتّصال.

تأثير النهايات يصرع فوّادي، وسأغيّر الموضوع بسرعة باستخدام الانتقال الآني.

لنعد للبدائيات إذا؛

لبداية مساء يوم أمس. كنت عائدا من العمل سيرا على الأقدام حتى انصبّ نظري على الأرض لأرى حافظة نقود واقعة من أحدهم أرضا تستغيث منادية فضولي،

التقطتها وكان منقوشا عليها حروف صغيرة، دققت النظر فيها لأقرأ: "أنا ملكك الآن". لم تكن العبارة ملفتة لي فقررت أخذها معي ريثما يحلّ الغد، وأضعها عند مسجد أو أقدم إعلانا عنها في الجرائد لعنّي أجد صاحبها.

وصلت للبيت قمت بوضع أشيائي على الطاولة وغيّرت ثيابي، بينما أنا أتناول العشاء وردني اتصال هاتفي من صديقي...

مرحبا، هل وفّرت النّقود التي أقرضتها لك منذ مدة؟

لأردّ بهدوء غاضب: يا صديقي أنت صاحب معروف، ولكن أمهني يومين ريثما أتدبر لك المبلغ.

تبييت تبييت تبييت... انقطع الاتصال.

أغرق بالتفكير لأنّ الوضع لا يساعدني وعملي بالكاد يكفيني وبينما أتلاعب بالأفكار وكيفية تدبير المال

لصديقي، تذكّرت حافظة النّقود التي وجدتھا اليوم.
فقلت في نفسي: "لما لا أفتحها وأتفقّد ما بداخلها
علّني أجد اسم صاحبها. بينما أسحب السّحاب وقعت
على الأرض ورقة بيضاء عتيقة جدّا، التقطتها
ووضعتها على الطاولة. كان داخل الحافظة صورتان
بجانِب بعض؛ صورة لرجل من زمن منقرض
والأخرى لامرأة ملامحها مختفية لطول قدمها،
وعملة نقدية لا تشبه عملاتنا ولم أرها من قبل...
ذلك ما زاد من فضولي اللّعين لأفتّشها جيّدا.
أأأوه جيب سريّ... أفتحه و أجد حجرا أسود يلتفّ
حوله خيط مهترئ، سأخرجه وأتفقّده.
بينما أنا أعبث بالحافظة وما بداخلها. أسمع انكسار
مرآة المنزل، لم أنتبه لما أنا فاعل فقد كنت منشغلا
بهذه الأشياء الغريبة.

قلت في نفسي: "الرياح تهب بقوة خارجا ونوافذ المنزل مفتوحة، اختلست النظر للنوافذ لأجدها مغلقة لكن الستائر تتطاير وكأن الرياح تلاعبها" كنت غيبًا حينها ولم أنتبه لهذه الأشياء التي تحدث لأكمل مسيرة عبثي، وأنتبه لتلك الورقة التي سقطت من الحافظة.

قمت بفتحها على مهل حتى لا تهترئ وهي عتيقة، لأجد رموزا مكتوبة عليها وبعض العبارات الغريبة والغير مفهومة وأحرف مقلوبة، وفي أسفل جهتها اليسرى عبارة: "حامل الورقة سيحصل على كل ما يريد"... من هذه اللحظة بدأت القصة.

كل شيء تغير وحلت اللعنة على حياتي في تلك الليلة، ولم أستطع النوم رغم جهد العمل الشاق. أحسست وكأنني مراقب من أحدهم.

احتضنت وسادتي بخوف شديد، لم أستطع إطفاء
الأضواء، لأول مرة أشعر أنّ الظلام مخيف وأنا لا
أنام إلاّ به، كابوس في أول مشوار النّوم، أيادي من
حولي تحاول الإمساك بي،
أقع من حافة سوداء لا نهاية لها وكأني معلق في
ثقب أسود.

أنتظر بزوغ الشّمس وحلول الفجر ولكن الليل
طويل، أخرج حبوب النّوم من أسفل الوسادة
وأتناولها بقضات متتالية، عيناى محمرّتان، أتجول
في المنزل كالمجنون، أودّ الهرب لكن لا أسمع
صوى أصوات أنين من حولي.

تبّا للصرّاعات داخل رأسي، ما الذي يحدث بحقّ
السّماء، أفقد السّيّطرة والبيت أصبح مظلماً... فجأة
أتذكّر الذي حدث فأعود لأمسك الصّور والورقة.
ملامح المرأة اكتملت، إبتسامتها السّاحرة تصيبني

بالرَّعب الشَّدِيد، أشعر بارتجاف قدماي. أسير بدون وعي، وبين الوعي زجاج المرآة يشقُّ أرجلي دون أن أنتبه، الدَّماء تسيل على الأرض كأنني أنزف ابتسامات وليس مجرد دماء.

ما الذي يصيبني؟ أين أنا؟ ماذا يحدث؟ ما الذي اقترفته؟

أنظر إلى الجدران وكأنها تستهزئ بي، الطاولات تتراقص، السِّتائر تصقُّ بحرارة... أبدو كالمهرج، فشعوري لا يوصف وكمية الغضب غير عادية.

أتجه نحو حافظة النقود وأمسكها، أبصق عليها لأنها السَّبب في كلِّ هذا، أرمي بها من النافذة بعيدا... تلك الورقة أين هي؟ أمسكها هي الأخرى، أحرقها وأدوس برجلي على كلتا الصورتين، أمزقهما وأنثرهما بكلِّ عصبية. المكان يهدأ وكأنَّ العاصفة أوشكت على النِّهاية. البيت انقلب رأسا على عقب، الشَّمس تشارف على الطُّلوع.

أنا منهنك من هاته الليلة
لا أستطيع شرح ما حدث
أرتمي على السرير من مكاني
أتنهد بكلّ عمق وأنهض مجدداً.
كلّ شيء عاد إلى طبيعته، المرأة والجدران والمكان
كله مرتّب كما كان.
يرنّ الهاتف...

أرفع السّماعه وصوت يقول: نشرك على إطلاق
سراحنا وفكّ قيودنا، ونأسف على تقييدك لبقية
حياتك".

الأمر قد حدث بالفعل
أسف لإخافتكم بهذا قصة لا تحمل نهاية
ولنعد لموضوع وردي كراتكم...
الحبّ المباع على أزقة الخذلان:
الحب، هل هو كلمة، أم شعور غريب وجميل
وشيطاني الملامح؟ في الحقيقة لا أعلم!

على الأغلب هو حرفان "ح" و"ب"؛ كلمة غريبة
نوعا ما، لا علينا...

حكايتي مضحكة بعض الشيء، مع هذه الكلمة
التي جعلتني أياس من أمره.

حتى غزلي في الحب عبارة عن استعمار نازي،
يغير من تشكيل الكلمة واضعا على روحها شدة لا
ترحم.

حب الفقراء الحب السطحي الذي يخدمك لتكشف
مرضك الطفيلي من صدمات طفولتك

في بداية الأمر أعجبت بها، ثم لم يمضي الكثير
من الوقت حتى شعرت بأنني أحبها، وكتحصيل
حاصل كان لا بد أن أصارحها بسرعة كما أوصتني
أمي.

كانت دائما تقول لي إذا أحببت امرأة ما فصارحها
بسرعة قبل أن تطير من يدك.

تطير من يدي؟

هل يعقل ذلك!

نعم يعقل جدًا، افعل مثلما أخبرتك وستسير الأمور

على نحو جيد ورائع، وربما ممتاز.

ولأنتني "ابن أمي المدلل"، ذهبت إليها بسرعة

وصارحتها بسرعة أيضا.

" أنا أحبك؟" وليحدث ما يحدث... ولتحظرنني

صديقاتي الفيسبوكيات، ولتطمم جارتني خذها الأيمن،

وليعمّ الظلام في العالم.

هاه، ما رأيك؟ هل وفقت في قول ذلك؟

أعلم أنني فاجأتك، أعلم ذلك تماما، وأعترف أنني

قلت ذلك بطريقة سيئة لكنني حاولت قدر المستطاع

أن أكون لبقا ومهذبا وهادئا، لكن يبدو أن الأمر

خرج عن سيطرتي... هاه ماذا سنفعل الآن؟

يا إلهي، لقد تورّطنا كثيرا ووقعنا في مأزق أو ربّما
وقع مأزق فينا!

إنّ الجوّ جميل، ما رأيك أن نذهب للسّوق معا؟
نتمشّى قليلا أو لنذهب إلى المقهى لشرب الشّاي
السّاخن بالنّعناع، وسأسمح لك أن تدفعي الحساب
عن طيب خاطر والحقيقة هي أنّي مفلس... أو ما
رأيك أن نذهب لحانة قريبة لنشرب البيرة؛ هل سبق
وأن شربت البيرة؟ إنّ طعمها سيئ؛ سيئ للغاية
لكنّها مفيدة للصّحة. على العموم، ليست لذيذة لكنّها
تجعلك في استرخاء تام، تشعرك بالسّعادة لبعض
الوقت، حتّى أنّه يمكنك أن تنامي عارية تماما؛ عارية
من الذّكريات والآلام والخسائر والحزن... عارية من
الانتماءات والقيم والمبادئ، ستركّزين على شيء
واحد حينها: "الانتشاء"، ستخلعين ملابسه وتنامين
معه دون أن تفوح رائحة شرفك في الجوار. آه، لقد
أسهبت في الحديث ونسيت موضوعنا الرّئيسي...

إن، أنا أحبّك، أحبّك بشكل مختلف، أووه، هذه
الكلمة مبتذلة جدًا وسخيفة، حتّى أنّ أيّ عاشق
مبتدئ سيقولها لحبيبته.

أنا أحبّك بطريقة غريبة ومعقدة، أحبّك بحقد...
أمزج كرهى لكِ بحبّي للجمال والرّقة، وشفّيتكِ،
وروحكِ الخفيفة، ونعومة يديكِ وشعركِ.

آه، أحبّ شعركِ، أحبّ شكله ولمسه، وأحبّ نطقكِ
لاسمى... هيا انطقيه الآن بهدوء ثمّ بصخب ثمّ
لخنييه؛ والآن قومي بتقطيعه حرفا حرفا ثمّ اجمعيه
وناوليني إياه، أريد أن أعلّقه في الغرفة أو ربّما
سأضعه في الثّلاجة وسأتناوله بالتّجزئة، كلّ يوم
أقطع منه جزءا وأضعه داخل كأس الحليب الساخن
وأقدّمه للقطة.

إنني كريم جدًا وأخاف أن تموت قطني وهي جائعة
وأدخل النار مثل امرأة ذكرت في أحد الأحاديث
التي لا أحفظها.

ما رأيك أن نحسم الأمر؟ لقد بدأت أشك في أنني
بالغت في مدحك، فلبيت رغبة الإيغو بداخلك وأنت

ستأخذك العزة بالإثم وربما ستعرضين عني

وتتضخم أنك وتغيبين فجأة، هكذا دون أي قبلا ولا
أحضان ولا رسائل دافئة. وأنا أكره الغياب المفاجئ،
والحضور المفاجئ، والحزن المفاجئ، والملل
المفاجئ. أكره كلمة مفاجئ، والجزر، والبانجان،
ويوم الأحد، والتدخين ومعدتي فارغة، والاستيقاظ في
الصباح الباكر. وأكره الذين يوافقونني دائما والذين
يعارضونني دائما، والذين يعرفون الطريق إلى جيبى
ولا يعرفون الطريق إلى قلبي. وأحب الشتاء وليالي
الشتاء وأغاني زكرياء وعارضات الأزياء وكتابة

الرّسائل لأشخاص لا أعرفهم... فقط أتخيلهم أصدقاء لي وأكتب إليهم دائما وبشكل منتظم، وبحبّ كبير. دعينا من كلّ هذا وهاتِ اقتراحا مناسباً لحالتنا المتأزّمة قبل أن نبدو مثيرين للسّخرية، وينتبه بعض الفضوليّين لذلك، فيتهافتون لحشر أنوفهم في حياتنا. والحقيقة أنّ حياتي ضيقة جدّا ولا تتسع لأنف فضولي آخر.

هيا بسرعة اركضي لأمّك وأخبريها بالأمر وهي بدورها ستقول لك: "أيتها الغبية لا تضيّعي هذه الفرصة قبل أن يطير من يدك"، وإن لم تقل لك هذا، فلتذهب إلى الجحيم وتعالى بسرعة إلى أمي لتخبرك بذلك. وسنتزوج في القريب العاجل ربّما، أو في البعيد الآجل، أو نبقى صديقين ونكتب الرسائل لبعضنا البعض كي نقهر الملل والأرق وليالي الشّتاء الباردة.

هاهي، أين تذهبين؟

و تردّ بكلمة واحدة لا تلقى عناء الخروج من
شفتيها: أنت لعنة.

لأردّ عليها بسمفونية كلام عزف على أوتار عقلي
الكهل قائلا: لم يكن لديّ المال الكافي لشراء
زجاجات الخمر، فكيف أتهمت برميها داخل الأزقة.
ثمّ أنّ خلافك مع حبيبك القديم لعدم إعطائك قبلة
وسط أحد تلك الأزقة خوفا لم أكن سببا فيه.

لا شأن لي بكلّ ما يحدث على هذا الكوكب البانس
منذ نشأته حتّى يومنا الكئيب هذا.

لم أكن أعلم بمقتل هتلر حتّى ذاع الخبر في جرائد
موسكو.

لم أشارك في غزوات الصليبيين وحملات انتخابات
الكاذبين السياسيين، أو أمتطي منصة التديّن
وأدعوكم للجهاد.

لا شأن لي بالمجموعة الشمسيّة، ولم أهرج كما
تفعل ناسا الفاشلة وتقول سينتهي العالم ويضرب
الأرض كوكب يتّجه نحوها منذ ألف سنة ضوئيّة،
وإلى الآن أنتظر تصديق الخبر لأرى ملامحك حينها.
لم أسرق البنك الدولي ولم أطلق تجارب الصواريخ
النوويّة في كوريا الشماليّة.

لم أحظى بفرصة الرّقص مع "إليزابيث" قبل موتها
أو رؤية الموناليزا حتّى.

لم أحتسي الخمر مع بايدن، ولا شرف اللّقاء بابن
بطوطة، ثمّ لا شأن لي بالفقر داخل أروقة شوارع
الشّرق الأوسط وشمال إفريقيا، ولم أحرّض داعش
على دخول العراق وسوريا، ولا علاقة لي بما
يحدث في كوبا والمكسيك، ولم أطلق صافرة بدأ
مسابقة الثيران في إسبانيا.

حتّى سبب خروج برشلونة على يد الإنتر لست
سببا فيه، ولم أرشي الحكّام، ولست المسؤول عن
تمزّق ليفربول في الأنفيلد على يد المرينغي ؛ كما
أنني لم أكن على علم بحدوث حالة طوارئ قصوى
في المسجد الأقصى إثر هجوم صهيوني.

لست القاضي الذي حكم على صدام، ولست مسؤول
شعبة الإسعافات الأولية للمصابين بحمى الحب، ولا
شأن لي بما يكتبه الجميع على واجهات السوشل
ميديا من تسطير للأكاذيب وتفعيل خاصيّة المجاملة
كلّ ما في الأمر أنني كنت أدخّن سيجارة وأنفث
دخانها على صورتك اللّعيّنة، فلا داعي لتقولي لي
"إنني لعنة"، هل هذا واضح؟ وإلا أطلقت النّار في
منتصف جبهتك يا بلهاء...

حقًا كنت لعنة، لقد أخرجت نفسي كثيرا وأخرجت
عشقيتي السّيجارة، ليس بسبب ما حصل بل أثناء

كتابتي لهذه الأسطر المفقودة من حياتي. فقد انتهت بعد أول قبلة بيننا ونسيت أنها محترقة لأجلي، وها هي تريك أصابعي لأتوقّف في هذا السطر، لكن للأمانة لن أتوقّف لأيّ سبب سوى تدمير لوحة المفاتيح.

أخذت أختها من العلبة أمامي لتكون ضحية هي الأخرى، وكلّ واحدة منهنّ بقصة ملهمة الملل. أستنشق دخانها وأقرأ "لنيتشه" ثمّ تتمحور أفكاري حول الوجود والتساؤل. أتمعن بكتب "سبينوزا" لأجد نفسي أواجه حقيقة الخدع العقائدية التي انطلت عليّ. أدقق مرارا و تكرارا بما كتبه "إيمانويل كانط" فتثور أفكاري على كلّ ما تدركه حواسي. أشقّ كتب "فولتير" و "نيكولو ميكافيلي" من الوسط لأعرف من خلالهم السّلطة وواقعنا، لأبدأ بالهروب من خلال روايات "ديستوفيسكي"

و "فيرجينا وولف" باحثًا عن البؤس والألم الذي عشقته.

بعدها الضربة القاضية على دماغي من "كافكا" و "إدغار بور" لتخلق في حاسة تمتد للأفق، لأجد نفسي محاطًا بمستنقع بشري يحاول سلخ فكري والمنطق والوعي، الذي ابتليت به.

هنا بدأت قصة المتناقض في ودخلت الليلة المظلمة لروحي و التي فسخت في ظهري، متيحا لولادة الأجنحة التي ستقودني للنور الذي خلقت منه. لنشعل سيجارة أخرى تعيدنا للأحلام وموعد دفنها...

كيف قتلوا أحلامي يا ترى؟

كان لديّ العديد من الأحلام، فقتلوها كما قتلوا أحلامك. أخبروني أن الغربي أفضل فلا أحلم، وأنّ الغنيّ أفضل فأبقى فقيرًا، وأنّ صاحب المنصب أفضل فأبقى موظفًا، وأنّ السياسي أقوى فأبقى من عامّة الشعب، وأنّ رجل الدين أعلم فلا أسأل.

كانوا يقتلونها كل يوم كما قتلوا أحلامك، لا يريدوننا
أن نحلم، بل إنهم لا يريدوننا أن نفكر أن نحلم؛ كما
فعلوا معي أنا ومعك أنت.

أنا لم أتصدّ لهم، لقد صدّقتهم بعد ما كنت أثق
في نفسي كثيرا، لقد طعنوني في وجهي... لم أكن
أتوقّع هذه الضربة بل توقّعت أقل؛ أضنّ أنّها أقوى
من ضربات "محمد علي كلاي".

لقد أسقطوني أرضا وجعلوني أصارع في الوحل،
كلّما زادت تحرّكاتي للنهوض أغرق أكثر... تبّاهم
و لرؤسائهم.

كنت أحلم بنشر هذا الكتاب لا أكثر، أردت أن أكسب
لقمة عيشي من عمل أحبّه وأحلم به، كنت على
بعد خطوة واحدة من تحقيقه، لكن للأسف كانوا
بارعين في تحطيمه، ولأزيد الحطام عتاقة أبتّ على
أعينكم نصف قصيدة مبتورة المعاجم:

على منصّة الإعدام يقف الحلم مدان
حول عنق الأمانى يلفّ حبل المشنقة
لحظات التنفيذ قادمة وها هو القدر يزمجر مبتسما
حيا على عدم التحقيق
الواقع ينادي من بعيد ابدأوا حكم التنفيذ
يسقط الحلم مشنوقا و من حوله أرامل الأمانى
مصحوبة بالعويل
لقد جعلوا قلبي زجاجيا ينكسر بسهولة، وجعلوا
ضميري غائبا لا محلّ له من الإعراب.
أعتقد أنّهم نجحوا، نعم، وما زاد الطّين بلّة أنّي
كلّما أردت النهوض أعتد على غصن ما فينكسر
وأسقط من جديد ومن كثرة السّقوط غرقت، ولحدّ
الآن لم أجد من ينقذني من غرقي غير نفسي ، فأنا
لا أجد السّباحة في بحر أحكامهم. و لكني قرش
في بحر كياني

وكي أنسى حالي البائسة أحرق سيجارتي،
وأحيانا أتعاطي مخدرا ما لعله يشفيني، وعندما
أبدأ باستظهار النتائج أجدّها سلبية؛ فالمخدر تبخر
عندما رأى مشاعري الميّتة وضميري الغائب ودمي
المتخثر، من كثرة تناول أطراف الحديث مع قريني
الذي هو بدوره تقاعد من مراقبتي، فأصبحت وحيدا.
هناك شخص واحد لم يخونني؛ علبة السّجانر
خاصّتي... بالمناسبة، اسمها الحقيقي هو الذي يحدّد
موعد إعلان وفاتي،

أما بالنسبة لعشقي لكرة القدم قد تلاشى نهائيا،
فأصبحت لا أشاهد المباريات وأعب بغصّة دون رضا
قلبي على ما أفعله، هو سيرك روماني على أي حال
لأنني ببساطة معقّدة اتّبعّت التعليمات التي وضعها
عقلي الغبي، والذي ما زال له بصيص من الأمل في
تحقيق حلمي، وبهذا بدأ حبري بالانتهاء وأفكاري

بدأت تتدفق أكثر، لكن التفكير كثيرا يؤلمني
وسأتوقف عند هذه الأسطر الأخيرة.

ما رأيكم بسرّ صغير: لقد بكيت أثناء كتابتي لهذه
الأسطر،

لا أعلم إن كنت قد قلتها سابقا لأنّي حقيقة نسيت،
لقد اختلطت الأمور عليّ كثيرا ولم أعد أتذكر شيئا.
لا أتذكر لأنني لست من أكتب بل الروح التي
تسكنني هي من تفعل ذلك

كلّ ما يهم الآن أنّي ما زلت أتمنى الموت للجميع،
وأنا حاقد على الجميع وأكره الجميع وبصفة خاصة
أكره حياتي.

أنا ملتزم
بإكمال ما أكتب، لا أستطيع التوقف الآن، وسأطلق
العنان لقلمي المتناقض لعله يشرح لكم كلّ هذا
الظلام الذي أنا فيه.

فجأة، ودون سابق إنذار أضنَّ أنه تمَّ استهدافي من مجموعة ظلاميين مؤانا الآن في غيبوبة عن الإدراك وهذا مجرد كابوس مزعج، لأنَّ الوضع أصبح خطيرا حقًا؛ فالجميع قد دخل متاهة التفاهات ولا زالوا يسردون قصة القبلة السحرية.

أتناولوا شيئاً ما؟ بالتأكيد لا... هذا مجرد خيال مزيف قد تمَّ حقنهم به كي يتخلَّوا عن واقعهم المنكسر وعن أحلامهم الضائعة في طريق التحقيق. هم تحت تأثير المفعول بفعل هوس دائم وفي طريقهم للانضمام إلى قطع المصفوفة الهالك؛ بحيث لا يدركون ماهية الوضع الحرج وأنهم على شفير الموت الداخلي.

أحقًا يحتاجون للقبلة السحرية الواعية حتى يستفيقوا كالأميرة النائمة... يذكرونني بالعلاقة بين الراقصة ورجل الدين، فكلاهما يبيعان شيئاً ما.

البهجة اللَّحظِيَّة، والسَّعادة، والوعد بالمغفرة، وكلّ هذا مقابل المال والخضوع العقلي والفكري لشبكة معقّدة من السّلطة على الحياة، والأهمّ في هذا أنّهما يقومان به بشغف والتزام،

أمّا بالنّسبة لشخص محايد فكلاهما عبارة عن حيوانين مسألين كالآخرين.

وعندما أعطيكُم رأيي بما يحدث، ليكن في علمكم أنّني وحيد في غمرة حزني وفرحي ويأسي وفوضاي، وحيد في كلّ الأمور.

أعلم أنّ السّرير هو المكان الذي لا أستطيع أن أهرب فيه من ذاتي، من ذاكرتي، وأوجاعي. كلّ الأشياء التي جاهدت لأتناساها في النّهار تطفو على سطح تفكيرِي، فحين يحلّ الهدوء والسّكون يتعالى ضجيج النّفوس وصراخ القلوب.

فقط أيها الحشيش بفضلك عرفت أنني أقوى ممّا كنت أتصوّر، بفضلك عرفت أنني أستطيع تحقيق ما أريد... أنت صديقي الذي أستمتع بالأحاديث الصّغيرة بيننا، وأستمتع أكثر بأكاذيبك التي ادّعي تصديقها لأنك تريد إثارة إعجابي، لا تتبعد كثيرا يا صديقي حتّى وإن عاندتك فلتحادثني غصبا؛ فأنت صديقي وواجبك أن تظلّ هكذا، كما هو واجبي أنا، ضمن فئة صغيرة من أشخاص يشاهدون العالم يحترق ولا يقومون بشيء.

سأتحدّث نيابة عنهم: نحن ننتمي لأولئك الذين كانوا أطفالا عاديين، لأولئك الذين كانوا في الوسط، ليسوا متفوقين، ولا حفلات تكريم، ولا مشاغبين يعرفهم الجميع. ننتمي لأولئك الذين طالما فضلوا الصّمت على الجدل ولو كانوا على حقّ.

الذين ضاعت حقوقهم لأنهم ليسوا وقحين بما يكفي
أو سيئين بما يكفي.

ننتمي لأولئك الذين يعرفون ما معنى أن تنام جائعا.

ننتمي لأولئك الذي تعرّضوا للشّماتة.

لأولئك الصّامتون وكلّ ما بداخلهم يتكلّم.

لأولئك الذين صرخوا ولم يسمعهم أحد.

ننتمي لأولئك الذين زرّعوا واعتنوا ولم يحصدوا
شيئا.

لأولئك الذين صحوا باكرا وعملوا ولم يربحوا شيئا.

لأولئك الذين لا يلفتون الانتباه أو يثيرون الجدل.

لأولئك الذين يحدّقون في المدينة ليلا وليس لهم
رفيق إلّا الله.

لكلّ أولئك العاديين الذين تغصّ بهم طرقات هذه
المدينة.

لكلّ أولئك البسطاء ننتمي...

في إنتظار أن يرفعوا إستحقاقهم ليحطموا أسقف
التوقعات

هذا جعلني أكره الجميع دون استثناء، ليس حكما
مني على أحد و إنما نظرتي في هذا الوضع الذي
أظلم كياني

أتحدث المتكّرين في مجموعة من المبتدئين الحمقى.
أكره الجميلات الغيبّيات في أغلب الأحيان يعتمدن
على مظهرهنّ الخارجي فقط في التّعامل.

أكره المثقّفات الذكيّات لأنّ أغلبهنّ قبيحات، يقمن
بتغذية عقولهنّ وينسين شكلهنّ الخارجي، والمظهر
عامل مهم في الأنثى.

أكره الأغنياء الذين لا يرون إلا أنفسهم؛ كم معهم،
وكم يملكون، يحسبون كل شيء بمقدار المال فقط.

أكره كبار السن الذين يظنون أنهم حكماء وأن من
مظاهر الاحترام أن أحترم ما يقولون حتى لو كان
هراء في هراء.

أكره المثقفين المتحذلقون الذين يظنون أنهم يفهمون
كل شيء رغم أنهم يجهلون أكثر مما يعلمون.

أكره المتدينين الذين يظنون أنهم وحدهم على حق،
والباقي في أسفل جهنم وبئس المصير.

أكره الملحدين الذين يحاولون الظهور بتمردهم على
الواقع أو عن القطيع وحسب، ولا يريدون أكثر من
ذلك.

أكره شبه الأقارب لأنهم عقارب، وأكره شبه الأصدقاء لأن أغلبهم أعداء متسترون خلف أقنعة.

أكره الحب السطحي لأنه كلمة يقولها الجميع ولا يفهمون فيها شيئاً أو يعملون ماهيته .

أكره الوطن الذي لا أشعر بعدم الإنتماء لأنه مجرد أرض عجفاء ولدت بها وسأمت بها دون إرادة مني أو موافقة على ذلك.

أكره الأخلاق لأنها رداء يرتديه الجميع.

أكره من سيقول لي لا تعمّ في حديثك بعد ان يقرأ هذا الكلام، لأنه يحب الدفاع عن شيء واحد لا أكثر ولا أقل.

بما أنني أكره كل هذا يعني اني أكره نفسي أولكم
لأنني امتلكت من هذه الصفات لا محالة. وسأغدو
محباً و متقبلاً لكم و لنفسي بعد إنتهاء ما أمر به
من ظلام

وهل تعلمون أنني أعاني من انفصام للشخصية أو
بالأحرى إنفصال عن الروح و المصدر ، دائما ما
أغير تفكيري وأختلق شخصيات بداخلي؛ فإذا غيرت
بعض الأفكار لا تنتقدوني فأنا أكره الانتقاد كثيرا
أيضا .

يجب أن تعرفوا أنني لست شخصا يائسا ليس لديه
ما يفعل في حياته المتبقية، أو أنّ الفراغ قضى عليّ
لأكتب كل ليلة بعض الحروف.

أنا شخص أخطئ لأحلامي، لا أريد الموت بدون
ترك بصمة، لا أريد شهرة لكن أن أحقق شيئا أفتخر
به أمام ذاتي أو نفسي الثانية.

ورسالة لمن سيحكم على هاته الحروف: حلمك لن
يحقّقه لك أبوك أو أمّك أو أخوك و لا ابن خالتك...
أنت من سيحقّقه بنفسك. هذا الحلم اللعين سيحقّق،
لا تستمع لما يقوله الآخرون، سيستهزؤون بك و غدا
سيحاولون أخذ صورة سيلفي معك.

كلّنا بشر وكلّ إنسان هناك موت وراءه تلاحقه
ستأتيه حين يكون مستعدا و تجربة عليه إكمالها،
لذلك إن كنّا في النّهاية سنموت جميعا؛ فقط قليل
من سيموت بشرف و بكلّ قيمته النورانية .

أعيدها: "لا تستمع لأحد، ضع هدفك و صوّب عليه".

هااااي، أنتم أو بالأحرى نحن:

نحن لسنا فاشلين

نحن لم نتوفّر لنا الأدوات اللّازمة

نحن لم نجد من يدعمنا ويدفع بنا إلى القمّة

نحنُ لم نجد من يصفق لنا، بل كانت مبعثرة تلك

الأيادي

نحنُ لم نستسلم رغم كلّ هذه الظروف

نحنُ مُحارِبين، مُحارِبين مُستهدفين

نحنُ ثوريين، مدثورين، مخنوقين

نحنُ حياتياً أموات

فعلياً موتى مؤجلين

نحنُ أبطال

نحنُ نحتاج لأنفسنا و لذواتنا و لإنسانيتنا لنتخطى

فحسب

جربت يوماً حبا غير مشروط، وهيئات لم أفعل

و حتى و أنا فعلت كانت تجربة في مكانها المناسب

على أي حال

سأسرد على أعينكم سيناريو جميل القبح:

أنا عشقت كرة القدم التي هي متاهة مُستحبة لا
أحدا يستطيع أن يتوقّف فجأة عن حبّها أو الخروج
منها وتغيير ميوله، عندما يمسك جنونها توقّع
بمحض إرادتك عقداً غير قابل للفسخ، تنصّ
شروطه على أن تبقى مُختلفاً ومُخلصاً لها حتّى وإن
احتلّ الشَّيب رأسك وضعف سمعك، حتّى وإن خانك
نظرك وأصبحت تُميّز بالكاد ألوان فريقك... قلبك لن
يتوقف عن تمييزها.

سأغير الاتجاه مرّة أخرى لأصيبكم بجنون الانتقال
الآنّي، سأطير صوب الحب الفقير والزواج
ومستحقّاتهم اللّعينة السّاذجة. معشر الفقراء
الملاعين، سلام الجوع عليكم وتحية حزن صادقة،
وبعد...

عزيزي الفقير، لا تتزوج برجوازية، ولا أرستقراطية،
ولا ليبرالية، لا تقع في حبهنّ، وإن رأيتهنّ صدفه
في الشّارع وأنت عازم على الذهب لاستدانة بعض
المال لشراء السّجائر والقهوة ودفع فاتورة الكهرباء
التي قطعها الأوغاد عنك منذ أسبوع، إياك أن تمعن
النّظر فيهنّ، ولا في مفاتهنّ وأجسادهنّ المكتنزة
حتّى لا يؤلمك قلبك.

لا تنظر ولو استحسن ذلك وأعجبهنّ الأمر، ولو
قلن لك هيئت لك أيها الصّعلوك ومشين بدلال وتغنج.
بل اهرب وانجو بجلدك، واسلك طريقا آخر وقل
في نفسك "معاذ الله إنّه ربّي أحسن مثواي"
البرجوازيات يتزوجن رجالا وسيمين بطلعة بهيّة،
جذّابة، ورائحة تدغدغ أنوفهنّ الصّغيرة.

أما وجهك الطّاعن في البشاعة فلا يعجب حتّى بائعة
هوى رخيصة، تجيد فتح زجاجات البيرة للزّبائن،
وحملهم وهم ثمالى إلى غرف حقيرة بفندق بعيد.
ورائحتك لا تغري مومسا متقاعدة، ترهلت ثديها
وتجعد وجهها.

الفقراء لا حظّ لهم في الحب. لأنهم خلقوا الحب
ليمارسوا الجنس دون دفع

أحبّها وستذلّك مدى الحياة بأموالها وجمالها
ونعومتها، وسترى نفسك حقيرا وسط أهلها ولن
تجرو حتّى على النّظر في وجه والدها.

إن أردت الزّواج فتزوّج إحدى بنات الدّوّار الفقيرات
الكادحات، وضع همك فوق همها واندب حظكما معا.
الأرستقراطيّات ناعمات، طريّات كالجبين، يفضّلن
الفودكا على البيرة، يعشقن السّهرات، والبارات،
والسّياحة طوال العام والسّباحة بالبيكينى.

يعرضن أجسادهنّ للشمس مثل فقعات مشحمة
ليحصلن على بشرة سمراء زيتية، وأنت تلهث
كالكلب كلّ يوم لأجل الرغيف والسّجائر الرديئة
اليابسة، ودفع إيجار غرفتك الحقيرة.
لا تحب ليبرالية متحررة، ولا تفكر في الزواج منها.
الليبراليات ينشدن التحرر والمساواة، ستنغص
عيشك بالحديث عن حرية الإنسان وكرامة
الإنسان وفرديّة الإنسان واستقلاله، وستقرّك
بالحديث عن "فردريك فون هايك" و "مونتسكيو"
و "كوندورسيه" و "فولتير" و "ديفيد هيوم"
و "جون لوك"، وغيرهم من آباء الفكر الليبرالي...
أحب فقيرة مثلك، لا تعرف الليبرالية، ولا
الأرستقراطية، ولا تحاول فهم التنوير والعلمانية.
أحب فقيرة محافظة من أسرة بسيطة، والدها فلاح
متواضع وأمها تحترف صنع الطّاجين والقذور
والقتل والأباريق الطّينية.

ستعيشان حياة بانسة شريفة، وستموت وأنت راضٍ،
على الأقل أحسنت اختيار أم لأبنائك يفخرون بها
ويرفعون رؤوسهم عاليا، وأنت سترتاح في قبرك
وستزورك هي كل يوم جمعة لتبكيك وتسقي تراب
قبرك.

فهذا ما يحصل عليه فقراء الروح و المادة على
الأغلب

وتأكد يا حبيبي القارئ أنه عندما تصدمك فتاة
بمحفظتها فذلك لا يعني أنها معجبة بك وتريد
رقمك؛ فبعضهن هكذا يمشين في الطريق كالغنم،
ويصدمون خلق الله ويقطعون الشوارع مثل الإبل...
فلا تستغرب.

لا علينا...

حسنا، أين كنا؟

حسب ذاكرتي قويّة الضّعف، كنت في حالي التي
تبيّنتها

بالأمس مهلوسا بخليط من القهوة وبعض الحبوب
المهلوسة،

بعد دقائق من ابتلاعي لبريغابالين. الوضع مربك
بجانبي، أنا في هدوء ذا خلفيّة فوضاويّة.

أنتس بنفسي ولا أجد نفسي، أنا في مرحلة التّطوير،
لا أعلم إن كنت ضائعا كما أخبرني من سبق جيلي
أم أنا وسط عاصفة ستمرّ كما أخبرتني روعي.

فلسفتي غريبة وأفكاري وحساباتي أغرب. أتعلّق
بالماضي وأحفظ من التّاريخ ما يعجز لكي لا أكرّر
أخطائه في المستقبل.

أمّا عن المستقبل أنا في الفراغ بين الحماس
والخوف، لا أجد لنفسني مسلكا.

حقّي لن يضيع لكنّ الحاضر يهدّني بالأسوء.

لا أملك من الانتشاء ما يكفي رغم أنني تحت تأثير
المفعول ضائع.

أتقاسم مع نفسي وأترك لنفسي غدا
اخترت أن أكون من الطبقة الكادحة. اخترت الكفاح
خوفا من نار الرب ورغبة في النصر .
القليل من الإيجابية؟

لننتشي ونضحك بهستيريا، لنُدع الجنون يصيبنا
ونصبح من العظماء بقهوة على يميننا، وبعد
انتهائي من شرب آخر فنجان قهوة معالج لديّ،
خلعت قميصي ووقفت أمام المرأة للمرّة الأولى
متأمّلا نفسي منذ أشهر عديدة من العزلة.

حاولت إرخاء جسدي وأخذ نفس عميق، نظرت
لنفسي مطوّلا، تأملت وجهي، وأول ما لفت انتباهي
خطّ غائر وسط جبھتي يقطعه عرق بارز، خطّ
حفرته نظرة عدم الرضا والتقرّر من محيط أعيشه.

عينان أتعبتهم كتب "دوستويفسكي" و "نيتشه"،
مورامكي" و "ساراماغو" و "كافكا" و "بيسوا".
عينان متعبة مزينة بهالات سوداء نتيجة لقلة
النوم، احمرار على مستوى الجفن كدليل لسرعة
تترفضي بحيث أصبحت من أكبر عاداتي، والتي لم
تكن يوما تقليدا، وحبذا لو كنت مقلدا إمعة، لكان
التخلص منها أسهل على نفسيّتي.

يداي تزينهما خدوش قطّ أسود لا يحبّ الاستحمام.
على كتفي الأيسر احمرار من كثرة التّدليك المستمر
له لتخفيف آلام كسر قديم.
رقبة ضعيفة مأت من حمل رأس ذو وجه بانس
وعقل ذو كيمياء فاسدة.

آه تبا، مرّة أخرى عاودني ألم كتفي الغير قابل
للاعتياد والتحمّل، حتّى أنّني لا أعلم كيف سقطت
عليه ليكسر.

حسناً، أنا أكذب على نفسي كعادتي مرّة أخرى، ألم يقل الطبيب أنّ السَّقوط كان نتيجة دوار حادّ أرسله لك صديقك المخلص "النيكوتين".

أجل.. أجل.. صادقتي بعد مغادرتي الرّياضة والأكل لأستقرّ في "فقدان الشهية" ألعن منطقة بعد تلّ أبيب.

فجأة دوار متوسّط يجعلني أنظر إلى الأرض لا إرادياً لأعيد رفع عياني ببطء.

تبّاً، سيقان نحيلة، ركب منتفخة لمرض لا أعلم عنه شيئاً، أوصل الصّعود تنفتح عياني منبهرتان.

من أنا!...

عظام قفصي الصّدري كانت بارزة، صدر مسطح، وبطن صوماليّة. أعيد النزول ببصري والصّعود في المرأة، أعيد طرح سؤال روتيني: ما سبب كلّ هذا؟ جواب روتيني أيضاً: إنه التّفكير، الإدراك الزّائد يا رجل.

تمرّ على ذهني مقولة "فيرناندو بيسوا": "كم
تمنيت لو أستطيع أن أفتح مجمعي وأخرج هذه
الكتل الذقيقة السوداء اللينة من ثيابها، وألقي بها
بعيدا إلى الكلاب"

بعدها مباشرة أتذكّر قول "جون بول سارتر"،
لتجعلني أغادر المرأة: "إنّ فكري هو أنا، من أجل
هذا لا أستطيع الامتناع عن التفكير".

تبّأ، ثرثرة ممّلة بداخلي وذكريات تنهش خلوتي، لا
شيء يعيرني أهميته غير سيجارة تطفئ حرقتي،
البوح أشبه بحبة جوز هند عملاقة يدخلونه بقوة
إلى فم فأر حديث الولادة.

زاوية غرفة أسند رأسي عليها، وسرير من لکمات
الغضب، وأيدي تسيل منها الدماء.

هدوء عارم، وفوضى حروف تبحث عن جمع
للکلمات، ألم فضيع يشلّ حركة مجمعي من اليسار
وأغنية تنوي الهروب منّي.

ما زال اللّيل في أوجّ عطائه، ولم يبح بالكثير،
وأقراص حبوب المنوم لم تعد تنفع.

هنا كلّ شيء سوداوي بجثّة رائحتها نتنة، وكوب
شاي بارد... علبة سجائر منفخة تغوص في قدح
الماء، ومروحة تدور بشكل بطيء وسقف غرفة
متشقّق.

إنّه قبو ذكرياتي، وباب محكم بقوّة، وضوء شمعة
يلوذ بالفرار كفستان أميرة تجري يحاولون إمساكها.
هنا كلّ شيء معدم الحياة وأنا خارج الحياة كحفلة
صامتة لا تصدر صوتا، أشبه بعزاء مرتديا ثوب
الفرح.

حبل مشنقة ضاحك ينوي خداعي، وشيطان سيّئ
السّمة يخبرني تخلص من الحياة.

كلمات تأبى الرّضوخ لعقل نازي دكتاتوري متعصّب،
همّه الأوحاد الطّغيان.

جنون العظمة، حب السّيطرة، تلاعب بالأوراق
وقلب الصّفحات على هواه.

ربّما كان من حسن حظّه أنّ الحياة لم تعامله برفق،
بل أمسكت به من كتفيه وهو ما زال يافعا، بريئا،
وقالت له تصرف. آآآه كم لعنها...

ولكن عندما أصبح في عمر متكوّن من عديدين
زوجيين حينها أدرك أنّها ليست رقيقة إلاّ مع هؤلاء
المساكين، من لا يقدرّون على مواجهة الحياة بعنف
مثله.

أمّا هو فقد كانت قاسية، وجارحة، وغير رحيمة
معه.

أرادت أن تجعل منه خصما قويّا كي تستلذّ بمراحل
اللّعبة معه.

لكنّها قوّت ساعديه دون إدراك منها أو منه هو
الأخر.

لحظتها يستطيع أن يقول للحياة: أستطيع أن أشرب
نخب الفوز عاجلا أم آجلا، ويشرفني اللعب مع
الأقوياء مهما سقطت وتغلبت عليّ.
سيفوز بالنهاية

اختلفت الأفكار... اعذروني على بذاعة حديثي، لكن
مرّة أخرى؛ تبّا لمجتمع شاذ.

الفساد أمام أعينكم ولكنكم لم تروه، ضعوا نظارات
الحقيقة لعلكم تخافون الذي خلقكم. هل تعلمون أنّ
والدي الذي تركني و ذهب انضمّ لقائمة المكروهين
التي أفصحت عنها في صفحات سابقة. وأسامحه
بكل حب في أسطر هته .

في الماضي كان والدي يتمنى أن أصبح مثل أبو
بكر الإدريسي... لقد خطوت نصف الطريق وأصبحت
مثل أبو بكر فقط وما زلت في انتظار الإدريسي؛
"أما عن أبو بكر: هو عجوز بانس سكّير يسكن

بجوارنا وعلى وشك أن يطرد لأنه لم يدفع الإيجار
منذ مدة"

الحقيقة أنني لا أريد أصدقاء كي أصبح سعيداً،
أعتقد أنّ بعض المال يكفي، فلا أحد يستطيع أن يقرأ
المعارك التي تحدث داخلك والتي تربطها لا إرادياً
بما مضى؛ الآمك الخاصة، تأثير الأشياء والمواقف
عليك، أن تحيا في الحاضر لكن كجسد وجزء كبير
منك لازال عالقاً هناك، متصلّب عند نقطة ما في
الماضي، لا يستطيع أن يتخطاها ولا يقدر أن يمضي
قدمًا، يهرب دائماً منها لكن يعود إليها.

أصبحت لا أشعر بشيء اتّجاه أيّ أحد لا حب ولا
كره.

كلّ ما بداخلي عبارة عن مدينة مهجورة بالقرب
من بحيرة مملوءة بالتماسيح، لكن لا زلت بخير،
أفضل من أيّ وقت مضى، لكن أعاني من ذاكرة

لا تكفّ عن العبث بتفاصيل تؤلمني؛ ففي الدقائق
الأولى عند استيقاظي من النوم تتأرجح الأفكار
على رأسي... بعضها غريب جدًا والآخر مجنون.
جثة طفلة باكية على أريكتي، سريري ممتلئ
بالصراصير، جدران غرفتي ممزقة كفستان مراهقة
اغتصبت الليلة الماضية.
صديقي الجرذ يحكم الغاية...
أسمع صوت طفل صغير قادم من خزانة ملابسي...
جارتني من هناك تقول أنها قتلتها...
أبي يدخن الحشيش ويضحك بهستيريا...
أخي الصّغير يمسك مسدّسه المائي يطلق على
رأسه الماء فتسيل منه الدماء...
مدرّس اللّغة العربية صاحب الكمارو يجلس على
الرّصيف كشحاذ...

الخدمة ترتدي فستان الزفاف وهي مبتسمة تقول
سوف نتزوج...

جدتي العجوز تمارس الرياضة رغم أنها لا تستطيع
الوقوف دون عكاز...

صديقي الأبله الذي لا يملك فكة لشراء السجائر
يرتدي الزي الأسود، يقود سيارته اللامبورغيني
في الحي...

عامل النظافة يطلب يد شقيقتي للزواج...
المهرج يقول أن ناسا فتاة جميلة تشبه فاطمة
المغربية...

الإنتربول يطرقون الباب للقبض عليّ، أخرج لهم
لأشرح ما أكون قائلًا:

أنا ذاك الشخص الذي يقاتل يومه صباحا، وفي الليل
يركض على الدرج، يصل لشقته الرثة كملابسه،
يسيطر على ما تبقى فيه من أنفاس، ويذهب

للخزانة ليختبئ من اليوم القادم... يجلس محملاً
في قدميه ويتذكر مصيبته، أنه ركض وركض ولم
يصل لنفسه أبداً، كان حلمه صغيراً وتعب من حلمه
على كتفيه طيلة حياته. وفي بداية المساء، يشرب
أحزانه خمر، وفي نهاية المساء يتقيأها
ليملأه الاستغراب؛ كيف كان قلبه يحتمل كل هذه
المرارة!

ثم يخرج من منزله كطفل يخرج من رحم أمه،
حاملاً معه حقيبة فارغة، ويمضي محدقاً في الأرض
باحثاً عن وجوه أصدقائه.

يجلس على الرصيف، ويدخن... يعبر المازة من
أمامه، وتسقط أحزانهم على كتفه ورأسه كما يسقط
الرماد، يطفئ سيجارته ويتفرغ لعدّ حصيلته من
الأحزان.

يحدّق في النّجوم، وكأنّه ينتظر رسالة من السّماء،
يجلس لساعات ثمّ يتذكّر أنّه ليس نبياً، فيطفئ آخر
سيجارة، ويعود لشقّته ليتشرب في السرير، لتأتيه
جرعات جديدة من الإلهام المتنكر في زيّ ألم.

أصمت في حضور نفسي غارقاً فيها غير قادر
على الكلام. الكتابة تصبني بالجوع وتفتح شهية
تفكيرى المنغمس في التهام قط، أظنّ أنّ هذا
يريحني ويشعني بالسعادة، خاصّة عندما يلتصق
بعضاً من وبره في ثقب أنفي ويدغدغي، وتصبح
رؤوس أصابعي تلتصق بشحمة جلده وتبدأ رائحته
التنتنة تفوح.

ركّزوا معي على شكل مخالفه وهي تستغيث
وتستنجد، بعدها يكون قد فارق الحياة.
أنظر إلى يداي لأجد أثار مخالف هاته الفريسة
الملعونة، خدوشا ومحاولات لنهش يداي من أجل
الفرار.

إنها فعلا رائعة.

أصابتنى التّخمة الممزوجة بالشراهرة لأتحدّث نيابة
عن قلبي فجأة، وأخرج عن الموضوع كعادتي
بانقتال آني عبر أنبوب الزّمن الكتابي.

أنا أعلم أنّ ملابسي لا تناسب الإسلام نوعا ما،
ولست ملتزما حدّ الرضا. أحبّ العطور وأتلدّد في
سماع الموسيقى. أحبّ أمّي لكنني أغضبها في
بعض الأحيان، وعندما أحزن أهجر الجميع.

ربّما أغتاب أناسا في لحظة غضب، لكن أسعى
دوماً لدفن هذا الذّنْب، ورغم هذا كلّه أحبّ الله حبّاً
عظيماً، أخاف منه ولا يخيفني أحد سواه.

الحمد لله على فضيلة الإحساس بالمعصية واللّجوء
إلي باب الاستغفار.

"والله يعلم أننا رغم المعاصي مؤمنون".

الحمد لله أن الحساب بيد الله سبحانه وتعالى
وليس بيد البشر، فتبًا للبشر بيض كانوا أم سود.
لقد تذّكرت "نيسلون مانديلا"، تبًا له لا يهمني
فليذهب إلى الجحيم.

لم يبقى لي أمل في الحياة يا مانديلا، رجاءً
استحضر "غاندي" وأقيموا سلاما على قلبي.
هل تعلمون؟

أتمنى جرعة زائدة من المخدرات أو بالأحرى
المهلوسات، بالنهاية الموت واحد على الأقل سأموت
بكرامة، سأقتل نفسي بنفسي على أن تقتلني رصاصة
طائشة أو مرض خبيث لعين.

تنادي أمي بعد أن استرقت السّمع من كلماتي: ما
بالك؟

لم أجد بعد الجواب يا أمي، أنا حتّى لا أدري كيف
تحوّلت لرجل مدمن ومجنون... كيف أكون مجنون!
لي أخي عادة ما يكرّر قوله أنّي غير مبالي وأناني
جدًا... لا أدري إن كنت فعلا أناني أم لا! لكنّه إن
احتاج لقلبي سأعطيه، سأعطيه ما يحتاج، رغم
أنني مختلّ قلبيا.

لا أحب رؤية الناس مصابة، أتألم كثيرا، أشعر
بالإحباط الشّديد تجاه كلّ شيء طار بعيدا...
هل أنا أبكي؟ لا لست أبكي، أنا فقط إنسان فقير
روحيا ، ومفلس عقليا ، وغير مبالي.

و هل هذا جواب لسؤال أخي؟ بالتأكيد لا!
كلّ ما في الأمر أنّني هوجمت من تلك العصبية على
حين غرّة، ومن فرطها سقط قلمي على الورقة في
عملية قيء مستمرّة.

النَّاسَ تَمَرَّ مِنْ جَانِبِي بَيْنَ مَرَاقِبٍ وَغَيْرِ مَبَالِي، وَأَنَا
أَزْحَفُ مُضْطَرًّا لِأَيِّ إِسْعَافٍ، وَحَتَّى بَعْدَ الْإِسْعَافِ
تَسْتَمِرُّ الْمَعَانَاةُ.

أَعْيَ جَيِّدًا مَعْنَى الْأَلَمِ النَّفْسِيِّ وَالْإِحْسَاسِ الرَّهِيْبِ
لِحَظَّتْهَا؛

فَالْأَمْرَ لَيْسَ بِالْبَسَاطَةِ الَّتِي قَدْ يَتَصَوَّرُهَا مَنْ لَمْ
يَعِشْ ذَلِكَ،

فَأَيُّ شَيْءٍ مَهْمَا كَانَ مَقْدَارُهُ مِنَ الْبَسَاطَةِ قَدْ يَسَاعِدُ
عَلَى الْخِلَاصِ.

أَكِيدُ أَنَّهُ سَيَكُونُ ذَا فَائِدَةٍ بِالْغَةِ وَعَظِيمَةً، حَتَّى وَإِنْ
كَانَ فَقَطْ كَلِمَةً.

لَا أَعْرِفُ مَا أَمَرَ بِهِ حَالِيَا وَلَا سَبَبَ عَزَلْتِي وَصَمْتِي!
لَكِنْ هُنَاكَ اِحْتِمَالَيْنِ لَا ثَالِثَ لِهَمَا...

أَوَّلُهُمَا: أَنْ كُلَّ شَيْءٍ أَصْبَحَ تَافَهُا أَوْ أَنَّنِي أَصْبَحْتُ
جَدِيًّا أَكْثَرَ مِنَ اللَّازِمِ؛ لَكِنْ لِلْأَسْفِ كِلَاهُمَا أَمْرٌ صَعْبٌ
عَيْشُهُ وَالتَّعَايِشُ مَعَهُ.

هو قاتل كليل جديد يحلّ فيه الصمت والهدوء.
يحلّ الألم في ليل يعود فيه ضجيج افكاري الذي
لطالما هربت منه.
في الليل تتلاشى ضحكات النهار وكأنها لم تكن.
في الليل تنهمر الدموع حتى الجفاف.
هل تعلمون لماذا أحبّ الليل وأكتب له وعنه، وحتى
أثناءه؟ لأنه يضعني في مواجهة مع نفسي.
يشعل فتيل حرب حقيقية معي ومع نفسي لنتواجه
بكل أنواع الأسلحة المحرّمة نفسيًا وعقليًا.
أسلحة تتلف خيوط العقل لتجعل منه مجرد قمامة
ترمى على أزقة شوارع قلبي المعتقد، قلبي
الذي رسم قصة نسيت أن أخبركم عنها في أولى
الصفحات، وها هي تزورني لتقطع حكمة الإلهام...
أني ومنذ عدّة سنوات أحببت طفلة، الحب الثاني
في حياتي، ولا داعي لذكر اسمها. اللّغة، كان العالم

الافتراضي سببا في حبنا، حقًا أحببت أعضائها
كثيرا، هي أيضا تحبني فقد حاولت الانتحار من
أجلي ثلاث مرّات تقطن بعيدة عن مدينتي ب مئات
الكيلومترات؛ فلولا البعد لبرتها من خصر البراءة.
مقدار حبي لها يفوق المسافة التي بين الشمس
والأرض، يفوق أعالي الجبال، يساوي العالم وما
فيه من مال.

أتمنى أن تكون تحبني بهذا المقدار وليس لنفس
السبب، أنا هنا الآن أعيش من أجلها، من أجل
المتاجرة، حتّى أنني غيّرت أحلامي وأصبحت كلّ
الأحلام مرتبطة بهذه الجميلة وما تملكه.

اقرأ الكثير من الكتب الرومنسية من أجل قهرها،
أكتب الكثير من الأشعار والقصائد لأبكيها.

أصبحت شاعرا رومانسيًا رغم أنّ هدفي كان تاجرا.

كنت دائما ما أتشاجر معها من أجل أتفه الأسباب؛
كبيع إصبع أو عين.

كانت دائما ما تسامحني لفشلي في إيجاد شاري
محترم.

أغار عليها أكثر مما أغار على بلدي، أو بالأحرى
هي بلدي، هي موطني الغني بالكنوز العضوية.
لقد امتلكت عقلي وفي الأخير انتحرت.

السبب أنه و بعد أول لقاء حاولت المتاجرة بيها في
سوق للأعضاء البشرية، تبأ لي كم أنا غبي... هل
صرحت بما حدث لتوي.

لقد اتفقنا على أن يبقى كل شيء سرا، يا لك من
أخرق، حقا تفكيرك ساذج.

لا إنه ليس تفكيري ولا علاقة لعقلي بهاته الكلمات،
إنه المتناقض، لقد انقشع الضباب من حوله، لقد
كسر فولاذ الرنزانة التي وضعته فيها.

ألوم نفسي كثيرا لأنني طيب القلب وأنا أعلم أن
الطيبة غباء كما قال صديقي ذات يوم:
"أيها الأخرق اللعين، اقتل قلبك لعك تعيش أكثر
من عشرون سنة" آسف يا صديقي! فقلبي هو من
قتلني، لقد جعلني أضحوكة كل هذا البؤس الذي أنا
فيه جاء بسببه.

سأبكي يا أمي، أرجوك لا تتركيني، فوالدي المسكين
السيء في التسيير تركني وحيدا في هذا الظلام،
تركني لأواجه، لأمتلك القوة.

ابقي لأطول مدة ممكنة، لا أستطيع العيش بدونك.

وحتى و أنا قادر على ذلك أريدك أن تعلمي
أنا أحبك، اعذريني لقلّة التّواصل معك، اعذريني
لأنني منغمس مع نفسي و كياني و حياتي و تجربتي
إفهمي أنه علي الماضي قدما لأنهي ما بدأته.

حقًا سأكتب وأبقى أكتب، سأنهي جميع أقلام العالم
وجميع أوراقه، إن أكملت ما أعيشه؛ لذا سأتوقف
الآن، لعلّ من سيأتي بعدي ويسكن هذا الجسد يكمل
ما بدأت، فقد تحطمت أحلامي وانتهت.

فقدت تركيزي كثيرا، ألعن الفوضى التي بداخلي،
واللّعة لهذا العالم أيضا، ولعقلي الذي تمّ اغتصابه
وفقد شرفه.

أشعل سيجارة أخرى وأمسك القلم من مؤخرته،
أنفض الغبار عليه. حسنا!

لم يحصل شيء أبدا... أقول هذا لأكذب على نفسي
قليلا، وكأني أربّت على كتف طفل دهست والدته
أمام عينيه بعجلة دبابية.

أتذكّر، أصفّف شعري المبعثر وأحاول إصلاحه كما
كان في أيام السلم والوسامة العقلية.

أستنشق الهواء من خياشيمي بهدوء. أغمض عينيّ
كي أهرب من الواقع أو أتجاهله بطريقة ما. أعاود
ربط عقدة العنق، تلك التي ظننت أنّها ليست إلّا
حبل مشنقة ولبستها لاعتقادي أنّ بإمكانني نصبها
بأيّ وقت متى أردت ذلك.

مهلاً... أنا بخير وحالتي جيّدة، لا أعاني من أيّ
مرض، ما زلت واقفاً أحدق بالمارّة.
لم أتبول على سريرى الليلة الماضية، يبدو أنّي
شفيت.

كيف الحال نفسي؟ أين ذهب سكّان القرية؟ يبدو
وكأنّها ميّتة؟

تفاصيلها ممتلئة بالكدمات، أظنّها لم تخرج سالمة
الليلة الماضية من حلبة المصارعة مع عقلي.

أطفال الحيّ لم يصدروا الصّوت المزعج الآن! يا
ترى أين ذهب قطار كلماتي؟ لقد انتظرتّه هنا قبل

غفوتي... مجرد غفوة؛ ها قد عدت من جديد. أين
ساعي البريد؟ لم يضع لي الرسائل هذا الصّباح.
أذكر أنّ قلّمي مقيد في طاولة المطبخ بمحاذاة النّار.

يا ترى لماذا لم ينادي عليّ هاته المرّة؟

حسنا، أنا بخير، لماذا تحدّق الحروف بي هكذا؟
لست مجنوناً أنا بكامل قواي العقلية حتّى أستوعب
ما جرى.

هيا أيها المؤلّف الأبله، أنهي الرواية، إنني أشعر
بالغثيان.

نحن على مشارف النّهاية لا تقلق.

لأصّبك بالدّوار حالا بسؤال وجواب نزلا من الفضاء،

الذي اخترع النّافذة، كان عاشقا أم سارقا؟!

سؤال قد يكون مثيرا للاهتمام لكنّه عملة بوجهين،
من يفكر بعقله دون النّظر إلى مشاعره سيقول أنّه
كان سارق، ولكن من يستخدم عواطفه و يعود إلى

قلبه في آتخاذ القرارات سيجيب بأنه عاشق) كتبت
هذا لأملأ الورقة فقط).

أما أنا فليست من المصنّفين، أنتم تتساءلون من
أنا؟

لا أعلم، كل ما يهمّ أنني لست ظاهرة جديدة، وليست
مفكّرا كبيرا، ولا أعلم ما أكون!

أنا كون قائم بحد ذاته على وشك البزوغ من رحم
الظلام

جوابي: لا أعلم ما هو، كل ما أعلمه أنّ مخترع
النّافذة ليس سارقا لأنّه يعلم أنّ اختراعه سيكون
سببا في سرقة منزله يوما ما، وأنّه ليس عاشقا
لأنّ العشّاق لا يخترعون أصلا، فهمهم واحد وهو
الحبيب . أما أنا أقول إنّه مجرد مخترع قام بالتّعديل
والخروج عن الواقع ليس إلّا.

آسف لأنني كشفت الحقيقة وبكلمات قد تجرح
العشاق.

ما الذي أكتبه؟

حقيقة لا أدري!

فأنا عندما تراني أهدت شخصا مرّة بحنان ومرّة
أخرى بوحشية مفرطة، فاعلم أنّ هناك صراع
داخلي بين عقلي وقلبي. فلا تستغرب كثيرا، ورغم
كُلّ هذا الثّبات الذي أبديه، لم أكن بحاجة إلى شيء
أكثر من كلمة طمأنينة واحدة تميل إلى قلبي لتَهْزِمَ
خَوْفي وتُزيل عن كتفي كلّ هذا العبء.

أنا أحسن تغيير المواضيع... آسف!

هل تعلمون وبعد معاشرتي للناس اكتشفت أنه من
كان يظنّ أنّ العصافير هي الكائنات الوحيدة التي
باستطاعتها ان تغرّد فهو مخطئ، فهناك مخلوقات
أبشع ممّا تتصوّرون.

آآآآه تَبَا، يا إلهي لم تعد مخيلتي حادة كما السّابق،
أشعر أنني بذاكرة عجوزٍ سبعيني وبعينين متعبة.
كلّ ما أريده الآن هو أن أحمل قلبي وأرحل، لكن
وبدون سبب قرّرت أن أبقى.
يا له من؟

لا أدري!

أحيانا أكون في غمرة حزني وأرى شعاعا أبيضاً
يداعب مخيلتي رغم أنّ المنزل موحش، لا أعلم
مصدر الضّوء في منزلنا!
أعتقد أنّه ملاكي الحارس .

أبش كلمة من هناك وجملة من هنا، واضح ضعفي
في السرد...

ما أردت توضيحه أنّه حتّى القطار الخطأ سيوصلك
للمحطة الصّحيحة، لكنّه يستغرقك وقتاً أطول،
فُستنزف خلال الرّحلة بينما كان يجب أن تستمتع

بها. وفي خضم إحدى الرّحلات، تذكّرت لحظة مهمّة
في حياتي القبيحة. قال لي يتيم ذات نهار: "أمضي
إليك مذعور الخطى، فلا أجد إلا نجوأي"

كزهرة سلب الخريف لونها...

وفاة حُلم ابتلع الهزيمة بلا صراخ...

رائعة أليس كذلك؟

ولكن لا أحسن بكلماتها، لأنّ لديّ صديقة أخرى،
هي جزء من كياني وكيونوتي، لن أفرط فيها مهما
لعنوها أو شتموها أو ذمّوها ووقحوها...

سيجارتني أنتِ جزء من الحياة

لنعد لنفسي مجددا دون ترتيب للسرد و لا استراتيجية
للكتابة

أنا ذلك الشّخص الذي فقد الثّقة في النّساء من أيّام
الابتدائية حين قلت لزميلتي أنّي أحبّها، فأخبرت
المعلّمة بذلك.

هل تعلمون أنني أعجز عن تنظيم أفكاري أيها

القارئ، لا تتذمر مني، ماذا تنتظر مني...؟

وجهي كسول، و ملامحي المنهكة غير قادرة على

المجاملة... لا تكلفني، فابتسامتي باتت عبئا عليّ،

وقد تحوّل فمي إلى مخرج طوارئ.... تصرخ،

فهناك بالداخل حريق. وصل بي الأمر إلى أن أهرب

من هذا المجتمع المتعفن. أصبح الجميع يتحدث أن

الرجل أفضل من المرأة

أنا أحترم جميع النساء، لكن ذكرا أو بعض الذكور

لن يشوهوا سمعة الرجال؛ ومهما كان لا يوجد

مقارنة بين رجل وامرأة...

الرجل له قيمته القيادية ، والمرأة لها قيمتها

المقدسة

أسف لعدم إرضائكم، لأنني ولأول مرّة أشعر أنني في

كامل هزيمتي وأعلم أن لديّ الكثير من الخيارات،

لكن لم أفكر أنني وفي كل مرة أختار الخيار الخاطئ.

آآه كم تمنيت مرور الأيام ولكن للأسف إنها عمري
أف وأف... هذه الليلة مزاجي سيئ سأملأ أقداح
الخمير وسأشرب نخب الحزن، سأتعاطى الحشيش
المعالج وأتنفّس المزاج السيئ دون أن أنسى أن
ألعن الظلام الذي أنا فيه.

حقاً ولدت رغماً عني، وسأموت رغماً عني؛ لكن
سأعيش كما أريد.

سأقتل قلوب الناس، سأستعمر قلوبهم ثم أرحل
ببطء، سأتركهم بين الموت والجنون.
أتمنى أن اكون مثل عمّة الشعب، كالمواطن
المستقرّ.

يقول المفكر الفرنسي "إيتيان دو لا بويسيه" في
كتابه (العبودية الطوعية)

(عندما يتعرّض بلد ما لقمع طويل تنشأ أجيال من
النّاس لا تحتاج إلى الحرّية وتتوالم مع الاستبداد،
ويظهر فيه ما يمكن أن نسمّيه المواطن المستقرّ).
في أيّامنا هذه يعيش المواطن المستقرّ في عالم
خاصّ به

وتنحصر اهتماماته في ثلاثة أشياء:

الدين

لقمة العيش

كرة القدم.

فالذين عند المواطن المستقرّ لا علاقة له بالحقّ
والعدل،

وإنّما هو مجرد أداء للطّقوس واستيفاء للشّكل، لا
ينصرف غالباً للسّلك..

فالذين يمارسون بلا حرج الكذب والنّفاق والرّشوة،
يحسّون بالذّنب فقط إذا فاتتهم إحدى الصّلوات.

وهذا المواطن لا يدافع عن دينه إلا إذا تأكد أنه لن يصيبه أذى من ذلك...

فقد يستشيط غضبا ضدّ الدول التي تبيح زواج المثليين بحجة أنّ ذلك ضدّ إرادة الله...

لكنّه لا يفتح فمه بكلمة مهما بلغ عدد المعتقلين في بلاده ظلما وعدد الذين ماتوا من التعذيب.

ويفعل الفاحشة والفساد في بلاده جهراً وبعد ذلك يحمّد الله.

لقمة العيش هي الركن الثاني لحياة المواطن المستقرّ.

فهو لا يعبأ إطلاقاً بحقوقه السياسيّة ويعمل فقط من أجل تربية أطفاله حتّى يكبروا، فيزوّج البنات ويشغل أولاده ثمّ يقرأ في الكتب المقدّسة ويخدم في بيت الله حسن الختام.

أما في كرة القدم، فيجد المواطن المستقرّ تعويضا
له عن أشياء حرم منها في حياته اليومية...
كرة القدم تنسيه همومه، وتحقق له العدالة التي
فقدناها...

فخلال تسعون دقيقة تخضع هذه اللعبة لقواعد
واضحة، وعادلة تطبق على الجميع...
المواطن المستقرّ هو العائق الحقيقي أمام كلّ تقدّم
ممكّن.. ..

ولن يتحقّق التّغيير إلّا عندما يخرج هذا المواطن
من عالمه الضيق، ويتأكد أنّ ثمن السّكوت على
الاستبداد أفدح بكثير من عواقب الثورة ضده.
يخرج قلبي صارخا لما قاله دون قصدي مني ؛
فلتذهب إلى الجحيم

لا بدّ أنّك نسيت ما أحدثته بلدك من استبداد هنا
وجعلتك تخرج بفرضية رغم صحتها إلا أن من دفع
ثمنها هو شعب عانى هنا

أعلم أنّ الحقائق ليست مطلقة ولا أبدية وإنما لها تاريخ محدد بدقّة.

وعمرها قد لا يتجاوز عمر الزهور أو قد يتجاوز عمر القرون.

إنّ لها لحظة ولادة ونموً وازدهار مثلها مثل الكائنات الحيّة، ثمّ لحظة ذبول، فشيخوخة، فتموت.

جزائري أنا... لسنا شرقيين لنهاب المرأة المثقفة.

لم نتلقى علوم الفقه من الأزهر، ولا الإسلام من دمشق والشّام وبغداد الذي أفخر بهم.

ولم نحتسي بول البعير يوما في صحاري السّعودية الطّاهرة.

ولا نرتدي صندلا في جبال تعزّ باليمن الشّقيق.

نحن شعب شمال إفريقيا، عامل البناء عندنا يقدم درس للمهندسة المعماريّة.

نادل مطعم يذيب قلب محاميّة.

العاطل فينا يتلاعب بمديرة.

نحن أساطير وإن لم ينصفنا الحاضر، سنكون قدوة
لشعوب المستقبل.

هل فهمت أيها المفكر؟

فرضيتك ضعها في مؤخرتك فالأرواح لا تتشابه و
لا يمكن وضع قيود فكرية عليها

لننتقل مرة أخرى و نهجر الفكر الاستبدادي

نعم أنا متناقض، لا زلت أغير المواضيع بسرعة،
سأعطيكم معلومة جديدة ولكن لتبقى سرًا، فهناك
ظلاميون من حولك إنهم لا يريدونك أن تنجح.

لا يريدونك أن تتقدم، أن تتميز وأن تربح.

إنهم يريدون أن يحبطوك، أن يغضبوك.

إنهم يريدونك أن تتوقف، أن تستسلم.

إنهم ينتظرون وقوعك، يفرحون لحزنك.

أنت تعرفهم، تعرف من هم.

إنهم حولك، قرييون منك.

فلا تهتم بهم، توكل على الله وأكمل مسيرتك.

كما قال "آرثر شوينهاور" في كتابه "فنّ العيش الحكيم":

"إن كان لا بد من مخالطة الناس، فاقبلهم كما عجنتم الطبيعة وعركت طباعهم بمن فيهم الأشرار، والأكثر مدعاة للشفقة، وإثارة للغرابة، هو ذا ما يقوله عين العقل. اقبلهم كما هم لأنهم لن يتغيروا أبدا مهما حاولت معهم. فقد قضى مبدأ أزلي وميتافيزيقي ثابت بأن يراوحوا طبيعتهم الأولى ويجتروها حتى النهاية. أكثر من ذلك، فالحكيم يجب أن يُحدّث نفسه بشأنهم من حين لآخر قائلاً: كان لا بد أيضاً أن يوجد هذا النوع من بني البشر!"

بعد كل ما كتبت لم أعتبر ممّا قلت وها أنا ذا في أول مطب أسقط.

وقوعي هاته المرّة كان قاسيا من كلّ الجوانب،
صحيّا، نفسيّا وحتىّ بالنّسبة لروحي
لم أكن في يوم احتاجت فيه روعي لي ، فرغم
سهري ليلا حتّى الصّباح الباكر، لم أحسن تركيب
مفعول يجعلنا نتحدّث ليلا بطوله و نطرح حلولاً
دبلوماسية كعادتنا. الشّيء الوحيد الذي أبرع فيه
بجانب مساوئي و في نهاية المطاف لم أجد لها ولا
لي تركيبة تفيد حالتنا، فقط نتائج سلبية تظهر أنّي
لم أكن في وقت حاجتها لي، وليس السّهو بالعذر
المناسب لأنني سبق و وعدتها أن أزكيها وأكون
الطبيب المداوي لها والسّياسي الفدّ في كلّ شيء
يخصّنا ولن يمنعني شيء.

لكن وبمجرّد غمزة بوّس لعينة، ها أنا أتحالف مع
تناقضي لأظهر برداء العدو لها وأتحالف معه لأعلن
حرباً شعوريّة سلاحها البرود، ليطغى على هدنة

دامت ثمانية عشر ربيعا حاولت أن أكون فيها كل شيء. لكن ذلك ما هو إلا قصص مدونة على كتب قديمة في رفّ هشّ يتآكل من شدة الغبار وها أنا ذا مجدداً أحاول أن أصنع لنفسى قصة أخرى معها لعلي أستعيد بريق الماضي وأكون الملك مجدداً.

لكن متى، وكيف، وأين؟ وأنا قد نسيت كل صفاتي الطبيّة ولم يتبقّى لي سوى الباراسيتامول الغير مفيد تماماً.

نسيت وصفة إفراز الدوبامين في جسمي، ووصفات النوم كافّة.

ببساطة نسيت كل شيء .

حتى طريقي التقليديّة لم تعد بتلك القوّة الخارقة التي كانت عليها.

أصبحت عادياً بدون أي ذبذبات ترددية ولا تخاطريّة كالتّي كانت تصلك عبر الزمن كأنّها ثقب دودي يعود بك إلى حروب روما في كتاباتي، ليمرّ بتجارب

تسلا في اقتباساتي المبهمة وحتىّ التقدّم بالوقت
للمستقبل حين أصنع في مخيلتي أحصنة بمحرّكات
تيربو عملاقة.

نسيت أن أخبرك أنّ شرنقتي قطعت إلى نصفين
وفصحتي لم تعد هي فصحتي لأنني فقدت النطق
والكتابة.

أبجديتي تناجيني لأعدمها، وجنوني المضطرب عاد
إلى رشده كأستاذ فيزياء تحصّل كلّ تلاميذه على
علامات سيّئة.

حتىّ ذلك القطّ الذي تناولته في إحدى نصوصي
الماضية قد خرج من بطني ليسخر من كلماتي
الفضّة وأنايا ذبلتا من كثرة التّدخين.

أفقت من تخدير الكتابة على عقلي وزدت معرفة
بقهوتي وسيجارتي، على أنّهما مجرد سرطان غبيّ
سيصيبني عندما أنجب أطفالا لأتركهم في مواجهة
واقع مزيف على آخره.

إدراكي تحوّل لشيء غامض ككتاباتي المبتورة دون
نهايات مبهجة، وكأنّ لعنة القراء على عدم إتمامها
أصابنتي بين فحذي وتلك الفتاة التي شتمتها في
إحدى نصوصي والديها برلمانين و قد يسجناني لو
يريان النصّ الآن.

كلّ هذا يراودني لأنّه كان اللقاح حينها لأخدرك
بفوليوم المتناقض وبأبجدية المتعجرف داخلي،
بدموية الإسبرطيين القاطنين بشقوق عقلي و بجنون
جيرمايا (الجوكر) الذي أخذ عيناى كمنفى له هاربا
من باتمان الذي قبل الملكة بياتريس بحلول ضباب
لندن الساقطة، أين احتلتها عصابات آل شيلبي التي
تسببت في إيقاف القطار الذي كان مارا عليّ منذ
سنة ونصف، أنا وتلك العجوز سارقة التذاكر.

أعتذر عن الإطالة وعن التشابك المريب؛ فهذه آخر
جرعاتي السحرية لإعادة نفسي لي.

انتهى بي الأمر أسابق الزمن متناسيا أنه الشيء
الذي نلمسه دون ان نشعر به، ونحياه دون أن يتأثر
بنا، ونستعجله من عمرنا وهو يطلب منا أن نتمهل في
مروره لأنّ اللحظات التي نعيشها تذهب به بلا رجعة.
بينما تمضي أعمارنا شيئا نتمنى أن تعود كما كانت
سابقا مهما يكن من أمر... فإنّ أحلامنا وآلامنا وأيامنا
الماضية هي

التي تُحدّد شخصياتنا وأفكارنا وميولنا العاطفية.

فمن تألم لا بدّ وأن يترك عليه هذا الألم.

و ليعش تجربته البشرية كما تخيل له روحه

فليتأمل و يتبين و يتدبر و يتعمق في أصله و طبيعته

الألم ملامحه لا تذهب بمجرد نسيانه ، والفرخ كذلك

وسنبقى نعيشُ بما لدينا إلى أن يتوفانا الله عزّ وجل

و ننتقل لمرحلة أعلى و بعد أسمى إنتهت الليلة

المظلمة للروح مع هذه المعتقدات و أنا أتقبلها

و أحتضنها و أغيها من كل زمان و مكان و بعد و واقع

حان وقت التطور و قيامة الروح و الإرتقاء

أستودعكم حبا و إمتانا و ألقاكم في النعيم



المتناقض

اخراج / سفيان باشي

الكاتب / سفيان باشي

أحبّ الأخطاء الإملائية والتّكرار الكثير في
الرّسائل؛ لأنّها كتبت على عجل ولهفة، الرّسائل
المنعقة بلا أخطاء تبدو ممّلة ومكتوبة بأناءٍ
وبُرود! ♥ لهذا تعدّدت التّكرار وتعدّدت القليل
من الأخطاء الإملائية كي أضيف نكهتي
الخاصة.